كتاب "اللّسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات ""لمصطفى غلفان"

- قراءة نقدية تقييمية في الموضوع، والمنهج، والغاية.

The book " structural linguistics- methodologies and trends”- by “Mustafa Ghalfane”

A critical review of the topic, approach, and purpose

إيمان بوشارب–imene.bouchareb@yahoo.fr

جامعة باجي مختار- عنابة

عبد السّلام شقروش–dr.chegrouche@gmail.com

جامعة باجي مختار- عنابة

تاريخ الاستلام: 2020/12/01 تاريخ القبول:2020/12/05 تاريخ النشر: 2021/01/01

ملخص:

اللّساني الغربي، من خلال تقديم المعطيات المعرفيّة المحورية لذلك، مشكّلة فضاء علميّا، تعليميا للقارئ، مخاطبة الاتجاهات اللسانيّة كافّة.

وهذا ما تنمذجَ مع كتاب: اللّسانيات البنويّة منهجيات، واتجاهات، "لمصطفى غلفان" الذّي درسناه، وفق قراءة نقدية، تقييمية، مستهدفين مدى نجاح غلفان في تعريف القارئ على علم اللّسان البنوي، لنتوصّل إلى جملة من النتّائج منها، تحقّق إسهام "غلفان" في بلورة هذا العلم تفصيليا للقارئ العربيّ، وفق معالم منهجية سليمة، وموازية للحقيقة اللّسانيّة المعهودة في الثّقافة الغربية موضوعا، ومنهجا، وغاية

كلمات مفتاحية: الكتابات اللّسانية الأولى.، البحث اللّسانيّ الغربيّ.،علم اللّسان البنويّ، مصطفى غلفان.،القارئ العربيّ.

Abstract:

The “first linguistic writings” are the key to access Western linguistic research, by providing the key knowledge for that, representing scientific and didactic space for the reader, addressing all the linguistics trends.

This is what was modeled with the book: "The structural linguistics- methodologies and trends” by Mustafa Ghalfane, which we studied according to a critical and evaluation reading, targeting the success of Ghalfane in acknowledging the reader about structural linguistics, to reach a set of results such as the fulfillment of “Ghalfane” contribution to developing this science in detail in favor of the Arab reader, according to proper methodological features, and parallel

to the linguistic essence in the Western culture both in subject, methodology and a purpose.

Keywords: The first linguistic writings, Western linguistic Research, structural linguistics, Mustafa Ghalfane, the Arab reader

1.مقدمة:

لقد أخذت الدّراسات اللّسانيّة سبيلها المعرفي، والمنهجي في رحاب الاتجاهات الكتابيّة المتعدّدة في السّاحة العربيّة ،مؤثرةبتفاوت في ذهنية القارئ العربيّ،فبعد أن مهدّت الكتابات اللّسانيّة الأولى، أولى خطواتها، وبعد قيام عدد من الدّارسين بالخطوات الآتية من تحليل، وأشكلة...نجد أنّ بعض اللّسانيين شكّلوا صدى علميّ بكتاباتهم، ومنهم اللّسانيّ المغربيّ:" مصطفى غلفان".

وقد كان اختيارنا لهذه المدوّنة (كتاب: اللّسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات)، مبنيا على خلفية، نحسبها، موضوعية، فالكتابة اللّسانية التّي نفضّل لو كانت تسميتها: بالكتابات اللّسانية الأولى، كما صرّحنا قبل حين، وهذا لأجل رفع اللّبس الذّي يمكن أن يقع في ذهنية القارئ الذّي سيربط المسألة من زاوية تاريخية، ربّما، معتقدا أنّ هذه المدوّنة تخرج من صنف الكتابة اللّسانيّة التّمهيدية كونها جاءت متأخرة عن الزّمن الأوّل الشّارح، والعارض للقارئ العربيّ، علم اللّسان الغربيّ.

كما استندنا إلى مسوّغ أنّ الكتابة اللّسانيّة التّمهيدية(التّبسيطية) يتمثل موضوعها في تقديم النّظريات اللّسانيّة الحديثة من مبادئ، ومناهج جديدة في دراسة اللّسان البشري[1]، ففي نظرها أنّ القارئ جاهل بأصول علم اللّسان..[2] ، فهي موجّهة إلى القارئ العربيّ ، بل الطّالب الجامعي، وهو صنفان: واحد يسعى إلى اكتساب معرفة تامّة عن اللّسانيات ليستفيد منها في مجالات معرفية أخرى، وآخر متخصّص في البحث اللّساني له معرفة أوّلية بذلك[3]

إذن، "فهدف الكتابة اللّسانيّة التّمهيدية هو التّعريف بالنظريات اللّسانيّة."[4]

والأهمّ ما جاء في تصريح "غلفان" في الكتاب نفسه(اللّسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات)" إذ يقول إنّنا لم نتناول في هذا الكتاب إلّا جوانب منهجية عامّة من [علم اللّسان البنويّ] دون الدّخول في تفاصيل وجزئيات قد تشوّش كثيرا على القارئ العربيّ الذّي لم يتسأنس بعد بالمقاربات اللّسانيّة، كما أنّنا حرصنا على أن نتجاوز حدود الإطار العامّ [لعلم اللّسان]دون تغليب هذا المستوى من التّحليل على الآخر."[5]وهو ماتوافق مع هذه المدوّنة.

وقدّ ارتأينا التّرحّل بين مظان الكتاب، باحثين عن أجوبة لتساؤلات منهجية انبثقتمن الإشكالية الجوهرية كما يأتي:

. إلى أي مدى وفّق "غلفان" في تقديم علم اللّسان البنويّ للقارئ العربيّ؟

. وهل كان، حقيقة، مخاطِبا القارئ المبتدئ أم تجاوز ذلك إلى المتخصّص

وقدّ توزّيع الحديث عن ذلك في ضوء العناصر الآتية:

2.الموضوع

3. المنهج

4.الغاية.

يتوضّح من عنوان الكتاب المختار، أنّ لبّ الموضوع هو"علم اللّسان البنويّ"بتياراته المختلفة؛ فقد كان مفصّلا لنا هذا العلم مستّهلا خطابه بمقدّمة، وعرض شامل، مشفوع بخاتمة.

2.الموضوع

مايجب معرفته، أنّه من البديهة بمكان، تحديد موضوع أي فكرة، أو نظرية علمية كانت أو لسانية ، فهي خطوة لاغنى عنها .

و قد تطرّق "غلفان" للحديث عن المواضيع اللّسانيّة الممثّلة في مفاهيم جسدّتها اصطلاحات خاصّة، ومأكثرها في الكتاب بشكل مباشرأو غير مباشر، وهذا ماسنقف عنده

من خلال النّماذج التّي آثارنا ذكرها في إطار ماصنّفناه كما سيأتي، بشكل تمثيلي،في إطار تعريف موضوعات أيّ نظرية أو مسألة أو عنصر:

1.2الموضوع من خلال اعتماد تقنيات بعينها:

" ويتمثّل **الوصف اللّساني** أساسا في ضبط الملامح المشتركة التّي تجمع بين الوقائع [اللّسانية] من خلال الاهتمام بالخصائص القابلة للتكرار والملازمة لوحدات اللّسان المدروس وتحديدها[بوساطتها] طرائق قابلة للتصديق وقابلة للإنتاج."[6]

2.2تحديد الموضوع من خلال ذكر مواقف بعض اللّسانيين:

."يرفض **اللّسانيون [البنويون]** ولاسيما **التّوزيعيون** منهم **تصنيف الوحدات** على أساس مفهومي أو معنوي، مثلما هو الحال في الدّراسات [اللّسانية] القديمة مفضلين اعتماد مبدأ صور يتمثّل في مفهوم التّوزيع. ولذلك فهم يرفضون رفضا مطلقا التقييم الموروث عن منطق أرسطو.."[7]

." والأسلوبية التّعبيرية عند بالي تعبيرية ووظيفية أيضا؛ لأنّها تبحث في الآليات[والأدوات] اللّسانية والخارج لسانية التّي تجعل التّقابل بين الفكر والتّعبير ممكنا ...

. وتمثّل أراء بالي في موضوع عمليات التّلفظ التّي تضمّنها كتابه "لسانيات عامّة ولسانيات فرنسية" قفزة نوعية بالنظر إلى لسانيات سوسير[8]

"**المقاربة اللّسانية عند بالي** تؤكّد على الطّابع النّفسي الذّي تقوم عليه العمليات[اللّسانية] في تداخل تامّ مع المنطق؛ أي أنّ تصوّر النّشاط[اللّساني] عند الفرد والقضايا[اللّسانية] المرتبطة بهذا النّشاط تبنى بالأساس في عملية التّلفظ على التّداخل بين عوامل ثلاثة: ماهو[لساني]، وماهو[نفسي]، وماهو[منطقي]..." [9]

هاريس التّوزيعي:"وتتمثّل**مهمّة علم اللّسان في نظر هاريس** في الصّياغة التّقنية أو الإجراءات الممكن تطبيقها على متن من المتون [اللّسانية] لاستخلاص قواعد النّحو[10]...

3.2 الموضوع من خلال المفارقة المفهومية:

ذكر أنّ تحديد الموضوع التّأسيسيّ لعلم اللّسان التّمييز بين **المادّة**، **والموضوع** "إنّ مادّة اللّسانيات ليست مقتصرة على[لسان] النّصوص القديمة[ولسان] الأدب الرّاقي المكتوب ...إنّ المادّة التّي ينبغي أن ينصبّ عليها البحث [اللّساني] **بحسب سوسير**،تشمل جميع مظاهر الكلام البشري،سواء أتعلّق الأمر بكلام الشّعوب المتوحشة، أم الأمم المتحضّرة ..."[11]

4.2 الموضوع من خلال الأنواع والمبادئ:

أنواع اللّسانيات عند سيشهاي[12]

"...أوّل **مبدأ في الصّواتة التّاريخية** هو دراسة التّطورات بالنظر إلى النّسق الذّي حدثت فيه..."[13]

مبادئ حلقة براغ.."أكدت على دور الوظيفة وأهمّيتها في التّواصل اللّساني.."[14]

فكانت موضوعيته متّسمة بالرّزانة، والدّقة، والشّمولية، مفصَّلة، مجزأة، بعيدة عن السّطحيّة في تقديمها؛ فكان"غلفان"منتقيا، موضّحا مراحل النّشأة ، واصفا الإرهاصات الأولى، مدعّما ،ذلك، بأقوال لسانيين شتّى.

وممّا تقدّم، ومن خلال في هذا العنصر،من دقة، وصرامة في طرح الموضوع، نبسط التّحليل على مرفإ المنهج الذّي اعتمده "غلفان" في هذا الكتاب؟

3.المنهج

سيكون الحديث في هذا العنصر، طويلا نوعا ما، بالمقارنة مع العنصرين، السّابق، واللّاحق، وهذا لتداعيات علميّة فرضت ذلك، ومناشدة للتنظيم العلمي، من جهة، وتقصي الشّمولية، من جهة أخرى، فكان الحديث عن المنهج مقسَّما في جملة من العناصر الآتية:

1.3الجهاز الاصطلاحي:

كان "غلفان" محافظا على الاصطلاحات التّي استعملها، فتجلّت موحَّدة في كلّ ثنايا الكتاب نذكر منها: صواتي، صرافي،الأصواتية، الصّواتة، كما كان حريصا على إظهار بعض

الفروق بين الاصطلاحات في ضوء البعد الجغرافي "الصّرفة عند الأمريكيين، والكُلمة عند الوظيفيين الفرنسيين.

علاوة على دقتة الاصطلاحية في التّسمية: التّأسيس النّظري،ممارسة فكرية، والتّقسيم، والتّصنيف، والمصادرات التّي شرحها بأنّها: العمليات التّي لاتحتاج إلى برهنة، وأيضا، توضيحه المفاهيم الأساسة إجرائيّا لكلّ مدرسة لسانية ،**الصّوتة**هي:التّصور المادي مع "دانيال جونز"(Daniel Johns)، والتّعريف العقلاني مع "تروبتسكوي"(Trubetskoy)، "ودوكورتناي"(Courtenay)[15]... كما جاء بتعريف " ليونز" (Lyons) البنية:"بأنّها نسق من العلاقات أو مجموعة من الأنساق يرتبط بعضها ببعض وحيث إنّ العناصر من أصوات وكلمات، ليس لها أيّ قيمة باستقلالها عن علاقات التّكافؤ والتّقابل التّي تربط بعضها ببعض."[16] محدّدا العلاقات بين المفاهيم المتاخمة لبعضها إجراءً، وسياقا مثل: بين اللّسان والكلام.[17]

هذا من جهة، وأمّا من جهة أخرى فقد عمل على إدراج المفاهيم التّجريدية، مسقلّة مثل: النّسق،أو في علاقاتها، كانت تقسيمات" هيلمسليف" للعلاقات كما يأتي: **علاقة**: لتسمية الوظيفة،**تعبير**: عن علاقة بين أجزاء السّلسلة، **ارتباط**: علاقة بين أطراف المصفوفة،[18] شارحا بعض الاصطلاحات التّي تبدو جديدة على القارئ نحو: "الأكسيوماتي" (منهج المسلّمات)[19] ،معرّفا القارئ ببعض الاصطلاحات المعرّبة نحو : "الأنثربولوجية"، "الأنثولوجية"،[20] أو الاعتماد على التّرادف الاصطلاحي مثل: الصّوتة التّي تسمّى بمسمّيات عدّة:"القيمةالصّوتية"،"النّسقالمثالي"،"النّسق العميق"، "النّسق القائم بذاته"،"النّسق اللّاشعوري" .[21]

وقد برزت الصّبغة المعرفية في توجهه بشكل منهجي منضبط، فقد ذهب بوقوفه عند بعض الاصطلاحات الإجرائيّة المنهجيّةعرّف "التّحليل"(صوريا)[22] وكذا علاقة المفاهيم ببعضها: علاقة النّظرية بالموضوع، وعلاقة النّظرية بالتّجربة[23]

2.3المرجع والخلفية:

اهتمّ بذكر الخلفية الفكريّة، والعلميّة لكلّ منهج أو مدرسة يرد ذكرها عندهحدّد" أنّ المنهج البنوي ظهرت ملامحه انبثقت، ونمت مع علم لسان"سوسير"(Saussure)، و"شارل بالي"(Charles Bally)، "ألبرت سيشهاي"(*Albert* Sechhay)، في ضوء المفاهيم الكبرى: الثّنائيات، العلامة اللّسانية، الاعتباطية، التّمييز بين التّزامن، والتّعاقب، العلاقات الجدولية، والسّياقية، وتناول الحديث عن كتابه:" دروس في اللّسانيات العامّة")[24].

أو تأثير فكر علم من الأعلام فيمن تلاه مثل ما حدث مع "دوسوسير بصريح العبارة تمثّل ذلك" تأثير فكرسوسير فيمن تلاه من اللّسانيين: تروبتسكوي،ميه (Meillet)، "هلمسليف"(.Hjelmslev).. ،أو الخلفية العلمية للساني ما مثل "هلمسليف" وخلفيته المنطقية متأثرا "بكرناب"(Carnap)...[25]

3.3الدّقة العلمية:

كانت واضحة في مواضع كثيرة،فعند حديثه مثلا عن كتاب"دروس في اللّسانيات العامّة" كان حديثا علميا منهجيا مرفقا بنشرات محقّقة [26] .كما أنّه لم يطلق حكما إلّا واتبعه بدليل نحو:" وتأتي مساهمة الحلقة [براغ] في تطوير [علم اللّسان البنويّ] بتأكيدها الصّريح على المفاهيم الجوهرية في علم اللّسانيّ السّوسيريّمتبنيّة إيّاها، مثل التّمييز بين لسان الكلام، ومفهوم البنية ،والتّقابل والعلاقات السّياقية ،والجدولية، والرّبط بين التّزامن والتّعاقب..."[27] هذا وفضلا عن تناوله لعنصري التّأثير والتّأثر بين المدارس، والأعلام،فقد وصف بعمق كبير اللّسانيّ "ماتزيوس"من منظور وظائف(اللّسان)، وهو الوصف الذّي نهلت منه "حلقة براغ "في أطروحاتها التّي كانت صدى لكثير من أفكاره اللّسانية."[28]

وقد ركّز على تعزيزه بأهمّ المقولات المدعّمة للأراء العلميّة نحو: " إبعاد المعنى عند بلومفيلد هو إبعاد منهجي فقط، إنّه يرفض المعنى[بعدّه موضوعا] للوصف اللّساني العلمي، ، وليس [بعدّه] جزءا[أساسا] من السّلوك [اللّساني]...[29]

وتبدت ،أيضا، عنده الجزئية،والكلّية ، في طريقة طرحه، بشكل كبير، وهذا ماكان مجسّدا في عدّة مواضع،مثل: **مفهوم "العنصر"** في العلوم الكيميائية على أنّه:"هو المادّة التّي لايمكن تحليلها إلى مواد أخرى، هو يمثل البسيط في مقابل المركب الذّي يتكون من أكثر من عنصر." أمّا في الدّراسات اللّسانية البنويّة فهو ليس دائما بسيطا، إلّا على مستوى تحليلي ما، ولكنه يصير مركّبا على مستوى تحليلي"، [30] جاعلا بنية القارئ الذّهنية مفرّقة بين المفاهيم الإجرائية الخاصّة بكلّ حقل معرفي.

4.3 الاستعانة بمناهج مختلفة:

مزج"غلفان" مناهج مختلفة بحسب طبيعة الموضوع، نجده قدّ وظّف "المنهج التّاريخي" الذّي كان ممثلا بشكل صريح في بعض العناوين:منالأنثربواوجية إلى اللّسانيات، وكثيرا من العبارات من بينها: "تعود بداية اللّسانيات التّاريخية إلى وايتني"،[31] و"لقد سعى الأمريكيون خلال القرن التّاسع عشر، بعد تثبيت الوحدة السّياسية واستقرار[اللّسان الإنجليزي] بوصفه[اللّسان الرّسمي]..."[32] ، كان يهدف إلى سرد تاريخي لمعطى معرفي ما، أو تتبّعه لتطوّر الاصطلاحات اللّسانيّة مستعرضا أقوال، وأراء العلماء، إلى أن يقف مقارنا.

. وكي نكون عمليين فيما ذكرناه، نقدّم،دوما، مجموعة من الأمثلة التّي توضّح ذلك؛لأنّنالانريد أن نثقل بأمثلة كثيرة، ولذا نأتي بعينات نموذجية،فقط.

نجد أنّ "المنهج المقارن" قد حاز عند "غلفان" أعلى نسبة في الاستعانة به في سياقات كثيرة،وهذاماتوصلّنا إليه، بعد قراءة دقيقة للكتاب. وكان ذلك ملائما للغاية، خاصّة، أنّه بصدد الحديث عن المدارس اللّسانيّة، وضرورة المقارنة بين مبادئها، وأسسها المشتركة،والمختلفة، مثل المقارنة الآتية: "يتميّز "بالي" و"سيشهاي" عن سوسير في بعض المنطلقات التّصورية التّي يبنيان عليها أفكارهما."[33]

وقد توغّل في المقارنة بين علم اللّسان الأوروبيّ وبين علم اللّسان الأمريكيّ من حيث النشأة، ومن حيث الأعلام: [34]

. "نقطة الاختلاف الوحيدة بين التّحليل البنوي عند بلومفيلد وأتباعه وتحليل سابير في نظرنا هو أنّ تحليل سابير يتميّز ... ومن الطّبيعي أن يترتّب عن هذا الاختلاف ...اختلاف في الاصطلاح... وحتّى أنّ بين المدارس ...نفسها اختلافات منهجية تصورية مهمّة."[35]

5.3 طرح مسائل وإشكاليات:

"يتعلّق الإشكال المحوري المتعلّق بطبيعة الحدث اللّساني:هل الوقائع اللّسانية ذات طبيعة بيولوجية نفسية(ميبه،فندريس) أم ذات طبيعة اجتماعية (الهولندي فان جينكيين، وسيشهاي، وبالي، وسوسير...؟"[36]

6.3 **هيكلة وتنظيم:**

جاء **بمقدّمة** زاخرة [37]أشار إلى هيمّنة علم اللّساني البنوي في تاريخ الفكر اللّساني،مشيدا بمكانته العلميّة،وأنّ أسسها لاتزال قائمة، على الرّغم من توالي تيارات لسانية بعدها،على غرار: النّظريّة التّحويلية التّوليدية،وكذا أهمّيتها التّطبيقيّة، الإجرائية،المتبلورة في إطار المجالات المعرفية المتاخمة لها مثل: تحليل خطاب،والدّراساتالسّيميائية للنصّ الأدبي...مراعيا في ذلك، التّسلسل الانتقالي التّاريخي الذّي عاشته عبر مراحل متباينة.[38]

مصرّحا أنّ الكتابة عنها في الثّقافة اللّسانية العربيّة شهدت منحيين لاثالث لهما، في الغالب:كتابة تناولت المبادئ المستعملة في علم اللّسانالعامّة، وكتابة تناولت علم اللّسان البنويّ، والوصفيّ.

أمّا **الخاتمة** فكانت قصيرة للغاية مقارنة بالمقدّمة [39] فقد تناول فيها عمّا قدّمه من مبادئ التّحليل اللّساني الوصفي، وسعيه في تتبّع التّطورات بالنظر إلى المقاربات السّابقة عليها، مستخلصا ممّا تقدّم من الاختلافات القائمة بين المدارس اللّسانيّة البنوية المختلفة، على أنّها اختلافات شكلية، نتيجة عوامل تاريخية واجتماعية، خاصّة بالقارتين، أوروبا، وأمريكا.كماأنّ من مظاهر الاختلاف، التّنوع الاصطلاحي الذّي كان نتيجة،تنوع علم اللّسان الحديث إلى جماعات محلية،و أشار إلى أنّ التّحليل الملائم للجملة هو التّحليل القادر على

تبيان مقدار الحركية التّي تسهم بها هذه الجملة في التّواصل اللّسانيّ، وأنّ هذه الجزئية التّي تخصّ المنظور الوظيفي للجملة وغيرها من المنهجيات اللّسانيّة التّي لم يتعرّض لها؛ أيّ أنّه تناول النّقائص التّي لم يطرحها في عمله هذا.

. **الاصطلحات**:[40] ...أدرج أهمّ الاصطلاحات التّي وردت في ثنايا العرض...مترجمَة إلى اللّسان الفرنسيّ، مرتبة وفق الأبجدية الخاصّة بهذا اللّسان،

. **الهوامش**: كانت مشحونة بحمولة من الملاحظات الجوهرية، والأساسة التّي تنم عن دقّة علمية، وتفصيل ضروري:

...ويكفي النّظرإلى المنشورات والمقالات التّي تصدر حتى اليوم [41] حيث أشار إلى ثلاثة عشر أو أربعة عشر مرجعا أجنبيا يؤصّل لذلك وغيرها ...

7.3 **التّأصيل العلميّ**:

. من العبارات الدّالة على ذلك:"تعدّ أراء "تروبتسكوي" الواردة في كتابه مبادئ الصّواتة ...بالإضافة إلى أراء جاكبسون ...أهمّ المصادر المعتمدة في مجال الصّواتةالبنوية عموما وصواتة براغ بصفة خاصّة.

. التّعريف بالأعلام اللّسانيّة المذكورة:"مارتينيه"[42]و"بوايتني[43] ، و"سابير"[44]

وليس هذا فحسب، بل تبدّت أصالته بشكل كبير في هذا الكتاب، مقتبسا المحتوى المعرفي اللّسانيّ من مصادره الغربية الأساسة نمثّل لذلك ببعض المقاطع:

"وبذلك [أسهمت] اللّسانيات الوصفيّة في[أمريكة] على وجه التّحديد في تقديم مادّة [لسانية]غنية مستمدّة برمتها من ألسن غير هندية . أوروبية.وهذاماجعل أحد مؤرخي اللّسانيات يذهب إلى القول بأنّ اللّسانيات العامّة ستكون فقيرة دون مساهمة الاخصائيين في هذه الألسن."[45]

BertilMalmberg Histoire de la linguistique De Sumer à Saussure.Paris.Puf.1991.p461.

"وشكّلت هذه اللّقاءات العلميّة دفعة كبيرة في لفت انتباه المحافل العلميّة التّي حقّقتها اللّسانيات وفروعها (لاسيما الأصواتية..)."[46]

أنظر دراسة Jean cloud chevalier حول المؤتمرات الدّولية في اللّسانيات وفروعها في:

Les congrès internatiinaux et la linguistique,in histoire des idées liguistique,(sous la direction de sylvain Auroux),Mardaga,2000,pp,517_528 .

"ويسعى تحليل آليات الكلام عند المتكلّم عند إلى الكشف المزدوج عن المتكلّم والسّامع على نحو ماتكشف عنه دراسات جاكبسون عن الواصلات وبنفينست [عن] الضّمائر."[47]

E.Benveniste.Nature des pronoms,inproblémesde linguistique générale,tom1.

كما اعتمد على مجموعة كبيرة من المراجع الأجنبية، خاصّة، الفرنسية منها، مقارنة باعتماده، فقط، على مجموعة معينة من المراجع العربيّة المعروفة ببداياتها الأولى في مجال لساني ما في الوطن العربيّ، ولكنه استعان أكثر بالمترجمة، ممايحيل على أصالة الأفكار، والمعطيات اللّسانيّة، والعلميّة الواردة في الكتاب.

8.3التّوسط بين التّنظير والتّطبيق:

حاول أن يكون بينيا، منظّرا مطبّقا، في أغلب الأحيان، مراعاة لإفهام القارئ:

. فاللّسان عند هيلمسليف: الخطاطة، الاستعمال، المعيار، والخطاطة هي عدّ اللّسان نسقا من القواعد المجرّدة ،وقد مثّل لذلك، **بحرف الرّاءالمنتمي** إلى الصّوامت بدل الصّوائت،و يمكن تحديد سمات هذا الصّوت في النّسق الصّواتي العربي بالنظر إلى أنّه:يوجد في كلّ المواضع داخل الكلمة...[48]

وأمّا عن **الأمثلة** التّي جاء بها" غلفان"، فإنّ المتفحصلهايلاحظ اتسامها بالبساطة، والسّهولة، مستقاةً من اللّسان العربيّ، ممّا يساعد القارئ على الفهم، والاستيعاب في عقر داره، إن جاز القول، نقف عند بعض كما وردت في الكتاب:

. **جئتنا**(بحسب التّحليل البنوي)، أمام ثلاث صرفات: **جاء**: مايدلّ على فعل المجيء.

. **التّاء**:الدّالة على المخاطب المفرد المذكر أو المؤنث.

. **نا**:الدّالة على الجمع المذكّر أو المؤنث.

. **أكل الولد التّفاحة** :تحلّل وفق المستوى الأوّل والثّاني [49]

. نوضّح انطلاقا من **الملفوظ النّواة: ملفوظ أدنى:**أهدى، **توسّع أولي**: زيد أهدى/ وأهدى زيد، **توسّع مباشر**: أهدى زيد عمرا،**توسّع غير مباشر**: أهدى زيد عمرا كتابا.

وكان تمثيله هذ بعد شرحه لهذه المفاهيم في إطار تناوله الجملة وظيفيا[50]

ثامنا:المنحى النّقدي في الكتاب:

أتى "غلفان" معلما القارئ بأراء اللّسانيين الشّارحة، والمفنّدة أحيانا أخرى:

. التّعريف التّجريدي ينسب إلى الصّوتات وحدات مجرّدة تحليلية مصطنعة ليست عضوية، ولاعقلية، وكلّها يرفضها تربتسكوي؛ لأنّها مرتبطة بمفاهيم: الشّعور، والفكر... وهذا لايساعد في الوصول إلى الواقع الموضوعي للصوتة[51].

لأنّها وحدات صوتية وظيفية وليست نفسية..[52]

"...فشلت لافتقادها الطّابع التّعميمي ،كما أنّ الطّريقة الاستقرائية عند التّوزيعية لاتقود إلى الكشف عمّا هو ثابت في اللّسان بل نكتفي منه بماهو عرضي."[53]

كان "غلفان" يبرز الخلافات القائمة على صعيد رؤى اللّسانيين المختلفة "كان جاكبسون يجادل الغلوسيماتيين في إبعاد المادّة الصّوتية للسان في التّحليل اللّساني، كان يلح على ضرورة معالجة العلاقة بين الصّورة، والمادّة معالجة دقيقة."[54]

انتقد "مارتينيه" على أنّه أهمل في مستوى التّمفضل الثّاني بعض المظاهر الصّوتيّة المتعلّقة بالنّبر، والتّنغيم...لايعيرالتّمفصل المزدوج اهتماما لتقسيم دراسة اللّسان إلى مستويات (صواتة، صرافة...)كما تفعل اللّسانيات البنوية الأمريكيةً.[55]

الجملة عند بلومفيلد غياب التّمثيل عند حديثه عن طرائق تآلف الوحدات اللّسانيّة المكوّنة لها: الرّتبة، التّعديل...[56]

4.الغاية:

كانت أهدافه علمية منها مايتعلّق بوضع شروط منهجية، ومنها مايرتبط بمتطلّبات، ومنهجيات ، تخصّ كلّ ظاهرة أو عملية لسانية ما:

" وفي جميع الحالات، **فإنّ التّعامل مع الرّاوي** مساعد البحث **ينبغي أن يتمّ في إطار نوع المراقبة الدّائمة** فهو مثل أي متكلّم باللّسان، يتردّد في نطق العديد من الأصوات والكلمات، وقد يرتكب أخطاء [لسانية] مثل باقي المتكلّمين" .[57]

محدّدا **الشّروط الموضوعية لجمع المتن** فيقول "تتطلّب من الباحث اللّساني الواصف حسّيا **لسانا متميّزا، ومهارات دقيقة، وتدريبات مكثّفة، وحضور نوع من البديهة**، بغية الوقوف بكلّ موضوعية، وضبط على خصائص المتن اللّساني المدروس والقدرة على تذليل الصّعوبات في ضوء مايتوافر لديه من معطيات."[58]

"ويظلّ ماهو منطوق من اللّسان شبه ناقص بالقياس إلى المستوى المكتوب غير أنّ **فهم حقيقة المكتوب، تتطلّب عمليا الرّجوع بين الفينة والأخرى إلى المنطوق** كونه يفيد في تفسير كثير من جوانب المكتوب وتقتضي دراسة خصائص المستوى المكتوب أساسا تحليلا معمّقا لما هو منطوق؛ لأنّ **الاكتفاء باللّسان المكتوب وحده قد يقود إلى جملة من الأخطاء[عن] واقع بنيات اللّسان المدروس.**"[59]

ونستشفّ من ذكرهللشروط الموضوعية، وكيفية ضبط التّعامل مع الأخطاء، جاء بهدف درئ تلك الأخطاء المتوقّع حدوثها عند التّعامل مع المتن اللّسانيّ، ممّا ينجر عنه استقراء خاطئ، وبالتالي نتائج خاطئة تهزّ منظومة اللّسان العربيّ. مع تحذيره، وبصريح العبارة، من بعض الإسقاطات التّي تؤدي إلى مغالطات مفهومية لايحمد عقباها، "من الخطأ المنهجي الاعتقاد أنّ ثمّة منطلقا أو حدودا مثالية يمكن أن يستمدّ من الألسن الغربية، ليتقيّد بها وصف ألسن أخرى...[60]

محيلا إلى جملة من الاختيارات المناسبة، فيصرّح قائلا: " ويبقى **التّحليل** الملائم وصفيا هو **القادر على تجاوز ملاحظة السّمات الفردية الخاصّة بالوقائع [اللّسانية]** ملاحظة مباشرة للوصول إلى الأنماط العامّة."[61]

إضافة إلى بعض المتطلّبات العلميّةالتّي تحافظ على الكيان الدّاخلي لعلم اللّسان؛ **فممارسة علم اللّسانتتطلّب مبدأ قائم الذّات، وزاوية تحديد، ورؤية لسانية** تسمح بضمان الوحدة الدّاخلية للسانيات، والاستقلال النّهائي...[62]

ولم تكن التّوعية الاصطلاحية ببعيدة عن طرحه؛ حيث أشار إلى الاستعمال الاصطلاحي المقترح عند لساني معين، تجنّبا للفوضى المعرفية التّي قد تحدث بقوله:"وقد تخلّى اللّسانيون[البنويون] منذ هيلمسليف عن اصطلح"التّداعي"نظرا لما يوحي به من خلط بين المنظور النّفسي والمنظور اللّساني مفضّلين استعمال مصطلح العلاقات الجدولية."[63]

كان "غلفان" حريصا على محاولة توعية القارئ بضرورة إدراكه الهدف من وراء التّركيز على أهمّية اكتساب المعرفة اللّسانيّة السّليمة، فيقول: "...إنّ المعرفة السّليمة بقضايا[اللّسان] يجب أن تهدف بالدّرجة الأولى إلى استخراج آليات اشتغال الألسن نفسها، وليس شيئا آخر..." [64]

كما نلاحظ تقديمه لمقترحات، يراها فعّالة في فضّ بعض الخلافات القائمة بين الأراء اللّسانيّة لأصحابها نمثّل بالمقتطف الآتي:

. فلفهم طبيعة الخلاف بين سوسير، وبالي، وسيشهاي:

ينبغي الرّجوع إلى السّياق الفكري العامّ الذّي نوقشت فيه مسألة اللّسانيات ، وعلمية اللّسانيات تتطلب البحث عن: طبيعة الموضوع، ثمّ علاقاتها مع العلوم الإنسانية، والاجتماعية.[65]

كما تبدّت علمية "غلفان" اللّسانيّة، واصفا، ومحلّلا، المنظومة الفكريّة، من أسس،وشروط لنظرية لسانية على غرار**"الغلوسيماتية"**:

"**ينبغي أن تتسم النّظرية اللّسانية المنتظر بناؤها** بالقدرة على وضع علم لساني لايتصوّر فيه اللّسان بوصفه تجميعا من العناصر المنطقية،...وإنّما علم ينظر إلى اللّسان في ذاته..."[66]

نظرية اللّسان"يجب أن تكون قادرة على ضبط الإجراءات الكفيلة بتبيان الكيفية التّي تسمح بالتّعرّف على كلّ النّصوص الممكنة ذات الطّبيعة المتماثلة لكل الموضوعات المتشابهة القابلة للتحقق، لايجب أن ينحصر موضوع التّحليل في نصّ منتمٍ إلى لسان ما لأي نصّ محتمل بغض النّظر عن اللّسان المدروس."[67]

مع الحرص على تقديم الإطار المفهومي العامّ، بل والعميق لهذه النّظريات على أشكالها: "**النّظرية الغلوسيماتية** ذات منحى ابستيمولوجي القائمة على هدف مزدوج: البحث في خصائص البنية اللّساني، وخصائص النّظرية اللّسانية التّي ستتكلف بدراستها صوريا." [68]

5.خاتمة:

وصفوة القول، بعد قراءة، ووصف، وتحليل، ونقدالكتاب، نخلص،تقيميا، إلى مجموعة من النّتائج التّي تجيبنا عن الإشكاليات التّي حددّناها سلفا،و لعلّ أهمّها:

. أنّ "غلفان" أسهم في بلورة مفاهيم لسانية وصفية، وتقريبها للقارئ العربيّ، وفق معالم منهجية سليمة، وموازية للحقيقة اللّسانيّة المعهودة في الثّقافة الغربية، من خلال محاولة تقديمها بوجهة دقيقة، مضبوطة، واعية، فيرتسم طرحه المميّز للموضوع وفق أبعاد متعدّدة، فقدّ حدّد المواضيع من زاوية: اعتماد تقنيات بعينها، أو بذكر مواقف اللّسانيين أو من خلال المفارقة المفهومية،أو عبر إبراز الأنواع، وأو المبادئ،سالكا منهجا محكما سواء أكان في جهازه الاصطلاحي أم المرجع والخلفية العلميّة، أم من خلال دقته العلميّة الواضحة في طريقة الطّرح، أم انتقائه المنهج الملائم لكلّ سياق، فضلا عن طرحه، وتنبيه القارئ العربيّ إلى عدّة إشكاليات، وقضايا لسانية، يمكن أن تكون مطروحة لأوّل مرّة، كما أنّه كان مطبّقا لكلّ معطى نظري يخبرعنه، مع اتسام هيكليته الجيّدة للكتاب أحايين كثيرة...مقدّما هذا بمقدّمة مهمّة للغاية، طارحا المعطيات اللّسانيّة التّي لم يتحدّث فيها في متن الكتاب لأسباب حسبة.

وهو بهذه الدّسامة العلميّة، وبعد تطرّقه لمسائل عميقة جدّا، يكون قد عبر بخطابه العلميّ فئة القارئ المبتدئ،على حين وعي منه، إلى القارئ المتخصّص الذّي له باعا من القراءة، والمطالعة، والبحث في اللّسانيات؛ لأنّ القارئ المبتدئ يحتاج أكثر إلى التّبسيط،

والتّوضيح في إطار عامّ ، مما يجعله متجاوزا مبدأ من مبادئ اللّسانيات التّمهيدية، كما هو متعارف عليه، "إنّ جلّ الكتابات التّمهيدية العربية لاتواكب التّطور الحاصل في النّظريات اللّسانيّة العامّة فلم تقدّم بعد للقارئ العربيّ المبتدئ المعلومات[الأساسة] عن النّماذج التّي ظهرت مؤخرا والتّطورات التّي عرفها البحث اللّساني رغم وجود كتابات لسانية عربية تطبّق هذا النّموذج أو ذاك على [اللّسان العربيّ]."[69]، غير أنّ"غلفان" كان مواكبا للتطوّرات الحاصلة كما صرّح هو في موضع سابق.

إذن، فهو لم يخاطب القارئ المبتدئ فقط، الذّي سدّ حاجاته العلميّة من ضرورة معرفته للنّشأة، والمفاهيم المختلفة، وتحديد الموضوع، والمستويات، وأشهر المدارس... بل اهتمّ بالمتخصّص.

. كما أنّ الكتاب قدّ عجّ بعناوين فرعية كثيرة،تحتاج لتنسيق حتى يفهمها القارئ المبتدئ الذّي ستخطلط عليه أوراقه اللّسانيّة، لامحالة، وستتبعثر شهيته بين التّفاصيل، والإشكاليات.

. وقد أدّى غياب التّمثيل أحيانا كثيرة، الدّاعم المباشر لتلك البلبلة التّي قد يواجهها المبتدئ، نمثّل ب: "القواعد الأربع التّي وضعها تروبتسكويللصوتة : القاعدة الثّانية "صوتان إنجازان لصوتين مختلفين إذا ظهرا في الموقع الصّوتي نفسه، ولايمكن تعويض أحدهما بالآخر دون تغيير لدلالة الكلمات"

.التّقابلات ذات فعالية في التّحليل الصّواتيالبنوي المساعد على تحديد الصّوتات بكيفية نسقية حسب تربتسكوي: عندما ذكر النّوع السّابع: التّقابلات الثّابتة " أين الأمثلة الشّارحة؟[70]

غير أنّ مايحسب له أنّه كان مبدّدا للنعرة العلميّة، والعداء القائم في إطار الخاصّ، والعامّ، التّراث، والحداثة؛ وهذا ماشهده اللّسانيات طيلة ولوجها للساحة اللّسانيّة العربيّة " لقد [أسهم] تغييب التّطبيق على [اللّسان العربيّ] والاكتفاء بالعرض النّظري المجرّد في تكوين

جملة من القناعات الفكرية السّلبيّة إزاء جدوى اللّسانيات وأهمّيتها بالنسبة [إلى اللّسان العربيّ] لدى المهتمّين باللّسانيات غير المختصّين فيها." [71]

ويبقى البحث العلمي مستمرا، وتبقى المحاولات في حاجة إلى تعديل ..وهكذا لأجل خدمة الحقيقة العلميّة، وتقريبها للقارئ.

5. هوامش البحث:

[1]ينظر:مصطفى غلفان: اللّسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النّظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثّاني، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم4، عين الشّق . المغرب ص:91

[2] ينظر:م.ن،ص: 99.

[3] ينظر:م.ن،ص:100.

[4]م.ن ،ص:118.

[5] مصطفى غلفان: اللّسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات،ط1، 2013، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت ـــــ لبنان،ص:442.

[6]م.ن ،ص:106.

[7]م.ن ،ص:127.

[8] ينظر:م.ن، ص:189 . 191.

[9]م.ن ،ص:201.

[10] ينظر: م.ن،ص:424.

[11] ينظر:م.ن ،ص:149.

[12] ينظر:م.نص: 210.

[13] م.ن،ص:224,

[14] ينظر:م.ن،ص:225.

[15] ينظر:م.ن،ص:239،241.

[16]م.ن ،ص:179.

[17] ينظر:م.ن ،ص:163.

[18] ينظر:م.ن ،ص:283.

[19]ينظر:م.ن ،ص: 263.

[20] ينظر: م.ن،ص:357.

[21] ينظر:م.ن، ص: 368.

[22] ينظر:م.ن ،ص: 267.

[23] ينظر: م.ن ،ص:267، 268.

[24] م.ن،ص:192.

[25] م.ن ،ص:159.

[26] ينظر:م.ن ،ص:142.

[27] م.ن ،ص:215.

[28] م. ن ،ص: 216.

[29] ينظر:م.ن ،ص:387.

[30] م.ن ،ص: 123،124.

[31] م.ن،ص:355.

[32] م.ن،ص: 358.

[33] م.ن،ص:205.

[34] ينظر: م.ن ،ص:356،357.

[35] م.ن،ص:374.

[36] م.ن،ص:205،206.

[37] م.ن،ص: 21.1.

[38] صرّح كذلك،مانتج عنه بروز جملة من الإشكاليات التّي لاينأى عاقل متخصّص في أن يخوض فيها، لعلّ أهمّها،لسانيا،كما يبدو عدم احترام تاريخية المفاهيم، وخصوصياتها النّوعية.والطّامة المنهجية تتمثّل في اتباع مبدأ التّعميم عند التّعامل مع التّيارات اللّسانية البنوية التّي هي في الأصل تختلف في طبيعتها الإجرائية يقول في هذا الصّدد:" إنّ الاختلافات التّي حصلت بين النّظريات اللّسانية الوصفية، لاتثير فضولنا العلمي في الثّقافة اللّسانية العربية الرّاهنة؛ وكأنّ تاريخ نظرية أو ظهور منهجية ما وتطوّرها أمرعادي أو غير مفيد!"ا

مما يوحي بوعي كبير للمؤلف، منهجيا، وابستيميا، ملامسا الواقع اللّساني العربي بواقعية، وشفافية من منطلق علمي محض، غير أنّ هذا، ربّما قد يشكّل صدمة للقارئ المبتدئ الذي ينتظر تبسيطا دون إدخاله في أشكلة؟!

ذهب ممهّدا لمفهوم اللّسانيات في حدود تاريخية، تتقصّى الأصول الأولى للمقاربة اللّسانية البنوية إلى:ـ الأفكار، والتّصورات الضّمنية التّي جاء بها" لبودوان دو كورتناي" (1845ــ 1929)، و"وليام ويتني"(1827ــ 1894)، وفيرديناندوسوسير(1827. 1913)

وفدّ ربط علمية اللّسانيات، بصفتي: البنوية، والوصفية المتسمة بضبطها المنهجي.

وقد برزت موضوعيتهوعلميته في كثير من السّياقات،... لم تنف اللّسانيات التّراث العربي، بقدر ماابتعدت، بحثيا،القضايا العقيمة: النّشأة، والمفاضلة...واهتمامها،بدلذلك،بالقضايا الدّاخلية للسان وماتطرحه من مشاكل ، تهتّم بجميع الألسن، كما تخلوا عن المعايير النّحوية التّقليدية وجاؤوا بأنماط حقيقية للأبنية اللّسانية.

عمقه ومناشدته التّفاصيل المغذّية للأفكار تغذية علمية... إنّ وصف لسان معين دون تحديد بعض المفاهيم مثل: الوصف اللّساني، والتّحليل اللّساني، ومفهوم اللّسان من حيث طبيعته، وخصائصه المميّزة. ينظر: م.ن ،ص:16،18.

[39] ينظر: م.ن (ص:438. 449).

[40] ينظر:م.ن (ص:443).

[41] ينظر:م.ن (ص:136).

[42] ينظر:م.ن (ص: 310،311).

[43] ينظر: م.ن ،ص:355،356.

[44] ينظر:م.ن ،ص :363.

[45] ينظر: م.ن،ص:17.

[46] ينظر: م.ن ،ص:31 .

[47] م.ن ،ص:167.

[48] ينظر:م.ن ،ص:270.271.

[49] ينظر: م.ن،ص:117.

[50] ينظر: م.ن ، ص: 344 ، 345.

[51] ينظر: م.ن،ص:241.

[52] ينظر: م.ن،ص:242.

[53] م.ن ،ص:263.

[54] م.ن،ص: 291.

[55] ينظر: م.ن ،ص:327.

[56] ينظر: م.ن،ص:398.

[57] م.ن،ص: 90.

[58] م.ن ،ص:93.

[59] م.ن ،ص:91.

[60] ينظر: م.ن ،ص: 362،363 .

[61] م.ن،ص:106.

[62] ينظر: م.ن ،ص:156.

[63] م.ن ،ص:183.

[64] م.ن ،ص:197،198.

[65] ينظر:م.ن ،ص: 205،206.

[66] م.ن ،ص:260

[67] م.ن،ص:275

[68] م.ن،ص:276،277

[69] مصطفى غلفان: اللّسانيات العربيّة دراسة نقدية في المصادر والأسس النّظريّة والمنهجيّة ،م.س، ص:242،243.

[70] مصطفى غلفان: اللّسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، م.س، ص:247.

[71] مصطفى غلفان: اللّسانيات العربيّة دراسة نقدية في المصادر والأسس النّظريّة والمنهجيّة ،م.س، ص:120.